المقاولاتية:النشأة والدلالة

تقديم:

إن نشأة المقاولاتية بكل دلالتها كانت في البداية مرهونة برأسمالية المنافسة والاحتكار، وبعدها أخذت عدة مسارات في ظل الاسهامات العلمية المختلفة والأنظمة الاقتصادية والاجتماعية المتطورة، وبالتالي إدراجه كمقياس ضمن الوحدة الاستكشافية لمستوى سنة ثانية ماستر جل التخصصات كان بهدف تلقين الطالب مختلف المعارف المتعلقة بكيفية إنشاء مؤسسة صغرى، وتبسيط فكرة التأسيس بغرس مايعرف بالروح المقاولاتية للطالب عن طريق التعليم المقاولاتي وبالتالي تكوين إتجاه مقاولاتي لدى الطلبة بعد التخرج،كآلية للقضاء على بطالة خريجي الجامعات.

وإنطلاقا من هذا الطرح سيتم تقديم عدد من المحاضرات بطريقة تخدم التخصصات في قسم العلوم الاجتماعية، وبما يضمن للطالب رؤية واضحة حول المقاولاتية من حيث هي :مفهوم ،فكرة، منهج وعملية وهذا إستخلاصا من عديد المنطلقات الفكرية والتنظيمية.

أولا: نشأة المقاولاتية:

إن نشأة المقاولاتية كانت مرهونة بنشأة نوع معين من الرأسمالية- رأسمالية المنافسة والاحتكار- وقد خضعت هذه الرأسمالية إلى العديد من التغيرات ، وهذابتطور الدور الذي يلعبه المقاول في كل فترة زمنية، ففي القرن السادس عشر (16) استعملت كلمة المقاول entrepreneur لأول مرة ،وكانت تطلق في حينها على الشخص الذي يقوم بتزويد الجيوش إذ تضمن معنى المخاطرة التي رافقت حملات الاستكشافات العسكرية ، وبقي مفهوم المقاول مستعملا في نفس الفترة ، إلى أن تطور في مجالات أخرى كالأعمال الهندسية، حتى أطلق على كل من يبرم عقودا مع الحكومة الملكية من أجل انجاز الطرق وبناء الجسور والحصون . ومع مرور الوقت أصبح مفهوم المقاولاتية يعني المقاولة والتوسط ورائد الأعمال هو الشخص المقاول أو الشخص الذي يعمل وسيطا بين طرفين

وفي القرن السابع عشر (17) اعتبر المقاول على أنه الشخص الذي يتحمل مخاطرة الربح أو الخسارة في مايعرف بالعقود الحكومية ، لقد كان من المتوقع أن يحقق المقاول ربحا أو خسارة طبقا لمساهمته في تنفيذ هذه العقود، أما في القرن الثامن عشر (18) شهد ت المقاولاتية تطورا ملحوظا بدخول مفهوم رائد الأعمال إلى النظرية الاقتصادية، حيث يعود الفضل لهذا المفهوم لكل من Cantillon Say Turgot وSchumpeter الذين وضعوا القواعد التي يرتكز عليها مفهوم رائد الأعمال.

وعبرت كلمة رائد الأعمال –المقاول- في انجلترا عن رجل الأعمال على اختلاف طبيعة نشاطه، ثم استبدل بمصطلح الرأسمالي، وهذا ما قاد أغلبية الاقتصاديين إلى الخلط بين المقاول والرأسمالي إلى غاية القرن التاسع عشر إذ تم الفصل بين المقاول ومالك رأس المال. فالمخترعين لم يكونوا مالكين لتلك الأموال لتمويل اختراعاتهم وحصلوا عليه من مصادر مختلفة. ولكنهم ابتكروا سلعا جديدة، إذن ليسوا أصحاب أموال وإنما هم مقاولون[1].

وقد اقترنت المقاولاتية في بداية القرن العشرين بمفهوم الاستحداث ، حتى أصبحت المقاولاتية وخاصة في مجال الأعمال تعني المبادءة في ميدان ما ، و الإقدام والتصميم والنجاح وتحمل المخاطرة والسعي إلى تحقيق التميز.
أما في منتصف القرن العشرين إرتبطت بالابتكار والابداع الذي يُعيد تنظيم شكل الإنتاج من خلال استغلال اختراع معين أو وسيلة تكنولوجية جديدة، يقوم المقاول بإنشاء صناعة جديدة من خلال توظيف هذه الابتكارات. وتاريخياً ركز علماء الاقتصاد على مهارات المقاول في التنظيم وإقامة الأعمال، معتبرين أن هذه المهارات حصرية بفئة المقاولين، لكن خلال التسعينات من القرن الماضي، تغيرت النظرة مع ظهور مصطلح "الريادة". أدرك العلماء أن "الاستعدادات المقاولاتية" ليست حكراً على المقاولين بل يمكن أن يمتلكها أي شخص، مما أدى إلى ظهور العديد من رواد الأعمال الشباب الذين حولوا مشاريعهم الصغيرة إلى شركات عملاقة[2].

تعتبر المقاولاتية عاملا ضروريا في النمو و التنمية الاجتماعية و الاقتصادية،حيث انها تطورت عبر التاريخ من مجرد نشاط انتاجي الى مفهوم اكثر شمولة يشمل الابتكار و خلق القيمة و استغلال الفرص و أصبحت تواجه تحديات و صعوبات مثل العولمة و المنافسة في كل المجالات التي تنشط فيها .

ثانيا،مفهوم المقاولاتية:

لا يوجد مرادف دقيق للمقاولاتية في اللغة العربية بالرغم من بروز العديد من الترجمات، فمنذظهوره تغيرت الترجمة العربية لمصطلح Entrepreneur ثلاث مرات ،فقد كانت تعني "منظم" ثم "مقاول" وأخيرا "ريادي" فالمقاولاتية Entrepreneurshipهي كلمة أنجليزية الأصل تم إشتقاقها من الكلمة الفرنسية Entrepreneur، وتعني حاول،بدأ،خاض وتتضمن فكرة المخاطرة والتجديد.في حين التعاريف الاصطلاحية للمفهوم متعددة بتعدد المقاربات الفكرية التي عالجت المفهوم ومنها:[3]

1- فرصة الأعمال:

تعرف من قبل Brush et all بأنها توجه يدرس العملية التي يقوم من خلالها المقاولون بتحديد وإستكشاف وإستغلال فرصة. وبهذا يتضح أن المقاولاتية تتكون من عنصرين رئيسين هما:
المقاول والفرصة، إذ لايمكن تصور مقاولاتية دون مقاول والذي يمكنه وضع التصور الصادر عنه أو من قبل أفراد آخرين في خدمة أعماله، وهذا بإستغلال الفرصة المتاحة له كنقطة إنطلاق لأي مشروع.

2- نموذج إنشاء منظمة:

تؤدي المقاولة كظاهرة إلى إنشاء منطمة يقودها فرد أو أكثر، وهي الأنشطة التي يتمكن من خلالها خالقو الفرصة من تعبئة الموارد المختلفة ومزجها من أجل تجسيد الفرصة في مشروع مهيكل، كما إعتبرت المقاولاتية بأنها:" إمتداد إلى أن تكون عملية خلق منظمة ، أو مجموعة الأنشطة التي يقوم من خلالها الفرد المقاول بالاقتصاد والتوفيق بين الموارد المادية،البشرية والمعلوماتية.

3- نموذج خلق قيمة:

تعد المقاولاتية عملية ديناميكية لخلق ثروة زائدة بواسطة أفراد تحملو مخاطر كبيرة عبر إلتزامهم المهني وإستغلالهم الأمثل للوقت من أجل توفير قيمة لمنتج أو خدمة ما. فالفرد يعتبر كفاعل أساسي لخلق قيمة من

خلال دعمه لاستثمار مشروع .فحسب "فايول" Fayolle فهي السيرورة التي تؤدي بالشخص المقاول إلى إكتشاف وإستغلال الفرصة، وتحويلها إلى مشروع لخلق قيمة مضافة.

4- نموذج الابداع:

إن عملية الابداع تعتبر ميزة المقاولين وهي شرط لخلق القيمة وفي هذا الطرح يمكن إدراج تعريف لـ Reynolds et Al فحواه أن المقاولاتية هي وسيلة للابداع والتطوير الشخصي والاقتصادي،وكذلك خلق قيمة مضافة للمجتمع بشكل عام.

كما تعرف أيضا بأنها: فعل إبداع يتضمن إعطاء الموارد المتاحة حاليا القدرة على خلق قيمة جديدة مع تحمل المخاطر الناجمة عن ذلك، وبالمقابل الحصول على إشباع معين.

ثالثا: خصائص المقاولاتية:

المقاولاتية كمشاريع تمس مختلف الأنشطة الاجتماعية، تنفرد بمجموعة خصائص نذكر منها:

1- المقاولاتية كظاهرة إجتماعية:

تلقائية: حالة تلقائية و طبيعية في الحياة الاجتماعية حيث تم بناء المقاولاتية من خلال الأفعال الواقعية لفاعلين واقعيين في وضعية إجتماعية سياقية.

نسبية: الخصائص المقاولاتية البنيوية والتنظيمية للمقاولاتية متغيرة وغير مستمرة، فهي نسبية في وجودها وبنائها وعناصرها.

شيئية-خارجية-: عند دراسة المقاولاتية على الباحث السوسيولوجي والاجتماعي عموما التخلي عن كل البديهيات الخاطئة والأفكار المسبقة عنها وأن يقوم بدراستها كشيء ومن الخارج.

تاريخية: أي أن المقاولاتية مرتبطة بالتاريخ.

جبرية: العامل في المقاولاتية مجبر على الخضوع لإرادتها، على حد تعبير "عبد الله القرطبي "فإن العمل في المقاولات أصبح يتميز بالخضوع الإرادي عكس الأنشطة التقليدية[4].

2- المقاولاتية كظاهرة اقتصادية:

- عملية إنشاء أو خلق مؤسسة أو مشروع.
- الإبداع و الابتكار أساس المقاولاتية كشف طريقة جديدة في تقديم المنتج والتسويق أو التوزيع.
- المقاولاتية نموذج اقتصادي.
- المقاولاتية تقدم المنتوجات الجديدة وتتوقف هذه الأخيرة على نسبة قبولها في السوق.
- تحتاج المقاولاتية الى المقاول لرسم خطة استراتيجية يسعى لتحقيقها وتجسيدها على أرض الواقع وبالتالي ضمان نجاح مشروعه [5].
- تستجيب المقاولاتية بسرعة لعملية الإبداع ولها القدرة على قبول التغيير
- قدرة المقاولة على خلق ثروة مستمرة ومتواصلة خاصة عند توفر الطموح غير المحدود، فقدرة المشاريع المقاولاتية في التوسع جعل منها أداة مهمة في تكوين الثروة في زمن قياسي عكس المشاريع العادية [6].
- رأس مال معقول الأمر الذي يجلب الأفراد الذين يميلون للابتكار والإبداع.
- الملكية الفردية غالبا ما يكون المسير هو صاحب المشروع والعاملون فيه هم عائلة واحدة،
- قلة التدرج الوظيفي مما يؤدي إلى سهولة اتخاذ القرار.
- سرعة التكيف مع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية[7].

- إن المؤسسات المصغرة، الصغيرة والمتوسطة من المقاولات التي لها قدرة الاستجابة في انخفاض حصيلة السوق عند انخفاض الطلب على السلعة، يكون أكبر منه في المؤسسات الكبرى بسبب الاختلاف الكبير في التكاليف الثابتة والتي تعمل على التقليل من الكمية المنتجة فينعكس ذلك على ارتفاع سعر السلعة في المؤسسات الكبيرة،في حين أن في المؤسسات المصغرة،الصغيرة والمتوسطة تكون التكاليف المتغيرة أعلى من الثابتة،هذه المؤسسات تستطيع وبمرونة كبيرة من تعديل تركيبة تكاليفها وبشكل سريع لمواكبة النقص الذي يطرأ في الطلب على منتجاتها.

المقاولاتية فكرة يمكن تحويلها إلى مشروع مجسد على أرض الواقع،يقوم بها المقاول في مختلف المجالات سواء كان حرفيا،صناعيا أو خدمات،هذه الفكرة تحمل في طياتها الإبداع التغيير والمخاطرة.

رابعا: عناصر السيرورة المقاولاتية:

السيرورة المقاولاتية تمر بعدة عناصر نذكر منها :

- الفكرة:بداية يكون الارتكاز على الفكرة الجديدة التي هي في نظر الكثيرين بمثابة الفرصة في بناء عمل جديد وناجح،والمحفز والمحرك الرئيسي للمقاول،في المقابل لا بد أن يمتلك المقاول المهارة والمخيلة الواسعة لتحليل الأفكار واستغلال الفرص التي تصادفه.

- فريق العمل: يسارع المقاول في البحث على فريق عمل يكون له بمثابة المساعد في تحويل فكرته إلى واقع مجسد،فعادة ما يلجأ إلى المقربين له من عائلة،أصدقاء،معارف وكل من يراه مناسبا مستعدا للوقوف والعمل معه،هؤلاء يكونون فريق عمل يحمل ويتقاسم معه نفس الأفكار والرؤية ،مستعدين لتحمل المسؤولية الكبيرة ، وعلى المقاول في هذه الحالة استغلال كفاءته وأسلوبه في التواصل والإقناع ليؤثر على الآخرين وأن يكون أكثر واقعية فيعطي قيمة للمشروع بوضع خطة مفصلة موضحا فيها كل العناصر المرتبطة بفكرته المقاولاتية.

- الموارد: تأتي عملية البحث عن الموارد مثل الأموال اللازمة لتأسيس وإنشاء المقاولة،وهي أكثر ما يتخوف منه المقاول الجديد ويثير قلقه،في المقابل فإن المقاول الحقيقي هو من يمتلك اليقين بأن المشاريع المقاولاتية لا تحتاج إلى أموال طائلة وضخمة للمباشرة في العمل وباستطاعته البدء بوسائل بسيطة تغنيه عن صرف المبالغ الطائلة والفشل.[8]

وهكذا فان عملية تأسيس مشروع مقاولاتي لا يكون إلا من خلال هاته العناصر متكاملة مع بعضها.

تعتبر المقاولاتية عاملا ضروريا في النمو و التنمية الاجتماعية و الاقتصادية, حيث انها تطورت عبر التاريخ من مجرد نشاط انتاجي الى مفهوم اكثر شمولة يشمل الابتكار و خلق القيمة و استغلال الفرص و أصبحت تواجه تحديات و صعوبات مثل العولمة و المنافسة في كل المجالات التي تنشط فيها

والشكل التالي يوضح:[9]

مخطط السيرورة المقاولاتية لـ: "تيمونز"

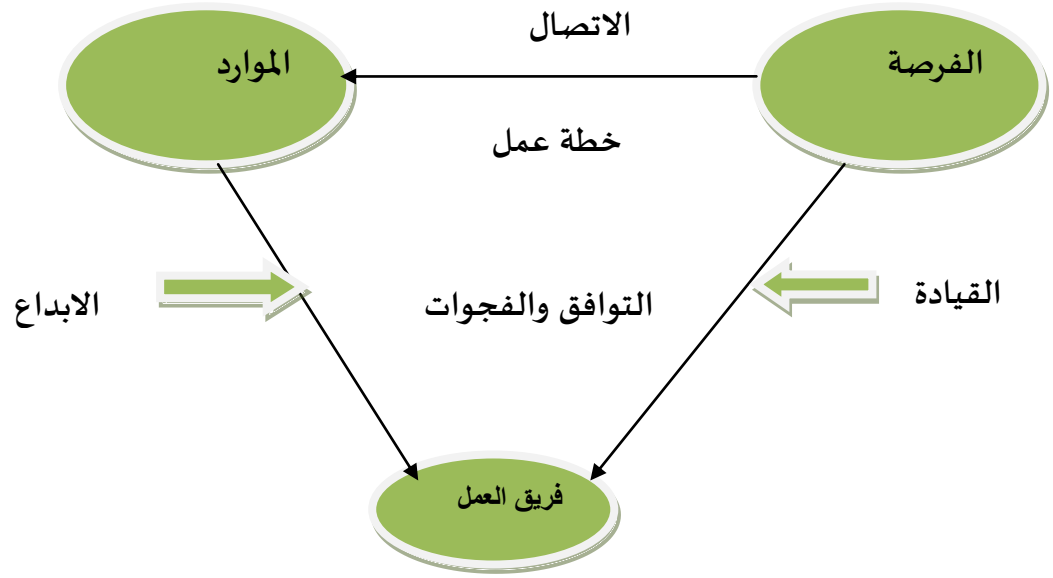

مما سبق يتبين أن دلالة المقاولاتية سواء كانت مفهوم،فكرة،ظاهرة، نهج أو عملية لها زوايا متعددة تتقاطع في الممارسة وتنضبط فيه كظاهرة، وتتجلى ميزاتها في جانبين أساسين وهما الاجتماعي والاقتصادي وهذا ضمن سيرورة تتكامل بين الاتساع والضيق في الواقع العملي إذ يؤكد "تيمونز " أن تحويل الفكرة إلى فرصة عبر تليين وتوجيه عملية الاتصال في ظل قيادة إبداعية متحملة للمخاطر ومستغلة للموارد المتاحة في بيئة توافقية .

... بالتوفيق مع المحاضرة القادمة ...